تأثيرات معمارية[1] وافدة على العمائر المملوكية بمدينة القاهرة (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

د. إبراهيم عامر*

الدارس للعمارة المملوكية المصرية يلاحظ أنها جمعت بين جنباتها تقاليد مصرية محلية من طولونية وفاطمية وأيوبية، وبين تقاليد وافدة من آسيا الوسطى وإيران والعراق والأناضول والشام والمغرب العربى والأندلس. وقد نتج عن ذلك المزيج المتنوع عمارة مصرية جديدة. الأمر الذى يذكرنا بعملية تكوين الفن المعمارى الإسلامى الأول[2]. وبالرغم من هذا المزيج لم تفقد العمارة المصرية شخصيتها حيث انصهرت فى أتون المعمار المصرى على الرغم من إقليميتها ومحليتها ، وتمصرت وأصبحت لها طابعا خاصا يميزها عن غيرها من عمائر الأقاليم والعصور الأخرى. فالوحدات المعمارية التى يشاهد فيها هذه التأثيرات ليست منقولة نقلا حرفيا ، بل هناك اختلافات فى التفاصيل وأسلوب التنفيذ[3]. وبمضى الزمن أصبحت إحدى العناصر الأساسية لهذا الفن المعمارى.

وما بلغته العمارة المصرية فى العصر المملوكى من نضج وازدهار إنما مرجعه إلى تنافس السلاطين والأمراء والأميرات وأهل اليسار من الطبقة المتوسطة من علماء وقضاة وتجار.. وغيرهم فى تشييد المنشآت المعمارية سواء كانت دينية أو تعليمية أو خيرية أو مدنية

---

*مدرس - المعهد المصري العالي للسياحة والفنادق

١- أنا لا أدعى أن لي فضل قصب السبق فى تناول التأثيرات المعمارية بالدراسة والبحث بين الدول الإسلامية وبعضها البعض ، أو بين بعض الدول الإسلامية وأوروبا فى العصور الوسطى ، فقد سبقنى فى ذلك أساتذة وعلماء أجلاء مثل : حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر. ضمن كتاب التاريخ والآثار الحلقة الدراسية الأولى طبعة سنة ١٩٦٢م. ص ص ٨٣-١٠٥ ، السيد عبد العزيز سالم: بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية الإسلامية. مجلة المجلة العدد الثانى عشر. جمادى الأولى ١٣٧٧هـ / ديسمبر ١٩٥٧م. ص ص ٨٨-٩٩ ، فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة) المجلد الأول طبعة الهيئة العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ ، حسن الباشا: التأثيرات الفاطمية والسورية فى العمارة الأيوبية. ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية. الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩. ٥ مجلدات. المجلد الأول. ص ص٣١٤-٣١٧ ، تاريخ الفن فى عصر النهضة فى أوروبا. طبعة سنة ١٩٧٢م. ص ص ٢٨-٤٠ ، زكى محمد حسن: فنون الإسلام. طبعة سنة١٩٤٨ م. ص ص ٦٥٥ - ٦٦٧ ، محمد الكحلاوى: التأثيرات المتبادلة بين المشرق والمغرب الإسلامى فى مجال الفنون ، السمات المعمارية بين مساجد دلهى ومساجد المغرب ،

Farid Shafei: Weat Islamic influences on Architecture in Egypt(before the Turkish period) Bulletin of the Faculty of arts. vol. x Vi. part II. December 1954. pp1-50.

ولكني هنا ألقى الضوء على بعض الرؤى من هذه التأثيرات التى قدمت إلى مصر فى عصر سلاطين المماليك. مقدما لها بالأسباب التى أدت إلى انتقال التأثيرات المعمارية من شرق العالم الإسلامى وغربه إلى مصر فى تلك الفترة.

٢- سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون فى دولة الإسلام. طبعة سنة١٩٧٧ م. ص٤٦٥.

٣- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق . ص٨٥ .

أو تجارية. حتى أن الناس كانوا إذا التقوا تساءلوا عن البناء والصناع ، ولشدة الولع بالبناء والعمران أنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون ديوانا للأشغال[٤]. وقد ساعد ذلك على الاستقرار وتوفير الثروة ورغد العيش الذى كانت تعيش فيه مصر فى العصر المملوكى.

وليس موقع مصر الجغرافى ، والدور الخطير الذى قامت به بسبب ذلك الموقع فى حضارات العالم القديم ، وخاصة فى العصور الوسطى بخاف على أحد أو يحتاج إلى شرح طويل ، فبفضل هذا الموقع المتميز لعبت مصر دورا جليل الشأن وأصبحت ذات مركز مرموق تتلاقى عنده وتشع منه تيارات الحضارة الإسلامية التى ربطت وستظل تربط الشرق الإسلامي وغربه بعضها ببعض ، فقد كانت مصر بمثابة حلقة اتصال قوية بين شرق العالم الإسلامي وغربه[٥]. واتضح ذلك فى العصر المملوكى من خلال التأثيرات المعمارية الوافدة على عمائر مصر والتى تعتبر سجلا معماريا لتاريخ العلاقات بين مصر فى الفترة المملوكية وبلدان المشرق الإسلامى ومغربه[٦]. كما أتاح ذلك المركز الجغرافى لمصر أن تصبح أيضا حلقة الاتصال الرئيسية بين تجارة الشرق الأقصى ومنتجاته ، وبين بلاد أوروبا[٧]. وقد زاد ذلك كما سبق ذكره من ثروة المماليك وجعل مصر فى رغد من العيش.

وإذا نظرنا إلى الأسباب التى أدت إلى وجود العناصر المعمارية القادمة من شرق العالم الإسلامي وغربه إلى العمارة فى مصر المملوكية نجد أنها تتمثل فى :

١-مصر فى وجه الحملات الصليبية والقضاء عليها ، فأصبح لا يتخلل أراضى مصر والشام غزو خارجى ، وصار كل من الإقليمين يخضع لحاكم واحد ، إزاء تلك الوحدة فى هذه الفترة أخذ الولاة والأمراء وكبار رجال الدولة والعلماء والقضاة يتنقلون فى الوظائف بين مصر والشام ، ولذلك يرى أسماء كثير من السلاطين والأمراء المماليك منقوشة على آثارهم بالإقليمين. كل ذلك أدى إلى التبادل المعمارى والفنى بين المهندسين والصناع والفنانين ، وأدى إلى ظهور العديد من التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بينهما وتأثرت إحداهما بالأخرى. لأن المعماريين والصناع والفنانين من نحاتين ومرخمين وجصاصين... وغيرهم فى كلا الإقليمين كانوا يرحلون ويتنقلون بينهما دون قيد ، وكانت نظرتهم للفنون والعمارة واحدة لا تختلف ، وكان الحاكم – وهو الموجه الأول والراعى للعمارة والفنون – واحد[٨].

٢- وقوف مصر فى وجه الهجمات المغولية البربرية وانتصارها عليها ، فقد واجه المماليك فى بدء نشأة دولتهم عاصفة المغول الهوجاء التى اكتسحت فارس والعراق واستولوا على الشام واتجهوا صوب مصر ، غير أن المماليك نجحوا فى القضاء على تلك العاصفة وردوا المغول وألزموهم بالتراجع عن حدود الشام. وأمام هجمات المغول اضطر خلق كثير

٤- حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية. جزءان. طبعة سنة ١٩٤٦. ج١ ص١٨ .

٥- فريد شافعى : المرجع السابق. ص ص ٢٣٥ ، ٢٨٠ .

٦- لسيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق . ص ٨٨ .

٧- نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٧٣م . ص ص ١٧٤-١٧٦-١٧٨-١٧٩ ، ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى. الجزء الأول. عربه أحمد محمد رضا. راجعه عز الدين فودة. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٨٥م. ص ص ٦٥-٦٦.

من مسلمى الأقطار الشرقية (آسيا الوسطى – إيران – العراق – الشام) إلى الهجرة إلى مصر واستوطنوا بها ، وكان من بين هؤلاء معماريون وفنانون. ويدل على ذلك العمائر بمدينة القاهرة التى يظهر بها تفاصيل معمارية وزخرفية وافدة من تلك الأصقاع[٩]. ويؤيد ذلك قول المؤرخ المقريزى : " فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكيز خان فى أعوام بضع عشرة وستمائة إلى قتل الخليفة المستعصم ببغداد فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة كثر قدوم المشارقة إلى مصر وعمرت حافتا الخليج الكبير وما دار على بركة الفيل وعظمت عمارة الحسينية[١٠] ".

٣- العلاقات الودية بين سلاطين مصر المملوكية وحكام المشرق الإسلامي ومغربه ، فقد توثقت العلاقات السياسية والاقتصادية بين المماليك فى مصر وحكام المشرق الإسلامي بعد أن توقفت المعارك الحربية وساد الهدوء مما حد بانتقال وظهور تأثيرات معمارية وفنية بين الطرفين. فقد كانت علاقات ود وصداقة بين السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى(٦٥٨-٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) ومعاصره حاكم مغول القفجاق (القبيلة الذهبية) بركة خان بن جوجى[١١] (٦٥٤-٦٦٦ هـ / ١٢٥٦ - ١٢٦٧م) وسبب ذلك أن الأخير كان أول من أسلم من خانات المغول ،ومن جهة أخرى قيام تحالف المماليك مع مغول القفجاق ضد مغول فارس.

ولذلك تبودلت السفارات. ونتيجة لهذه الصداقة لجأ إلى مصر فى عهد بيبرس عدد كبير من أفراد القبيلة الذهبية الفارين من وجه هولاكو فأكرمهم بيبرس ، فاعتنقوا الإسلام ، وأدخل عددا منهم جنودا فى جيشه[١٢].

وفى عهد المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٩٨ هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م) تحسنت العلاقات بين دولة المماليك ومغول فارس بعد أن تولى الحكم (تكودار) الذى كان قد اعتنق الإسلام واتخذ (أحمد) اسما له قبل توليه السلطة (٦٨١-٦٨٣هـ / ١٢٨٠-١٢٨٤م) ، وقد بعث تكودار أحمد بنبأ اعتناقه الإسلام إلى المنصور قلاوون مع رسولين ، وأعلن رغبته

٨- محمد عباس عبد الوهاب : الوحدة الفنية بين مصر وسوريا. مجلة المجلة. العدد السابع عشر. مايو ١٩٥٨م. ص ص ٢٤-٢٥،حسن عبد الوهاب:التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر.ص ص ٨٥-٨٦ .

٩- فريد شافعى: المرجع السابق. ص ص ٢٧٥ ، ٢٨٢ ،محمد عباس عبد الوهاب: المرجع السابق. ص٢٧

١٠- المقريزى: المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار. جزءان. طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م. ص ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

١١- هو بركة خان صاحب القبيلة الذهبية أو مغول القفجاق وعاصمتها سراى (صراى) فى وادى الفولجا. وهو أحد أحفاد جنكيز خان. وكان بركة على دين الإسلام منذ شبابه . وفى عهده تبادلت الرسل والبعثات بين القاهرة وسراى.
محمد مصطفى زيادة: الدولة المملوكية الأولى. ضمن كتاب تاريخ الحضارة المصرية. المجلد الثانى. . طبعة (بدون). ص ٤٩٢ ، طه الوالى : صفحات من تاريخ الإسلام والمسلمين فى بلاد السوفيات. الطبعة الأولى بيروت سنة ١٩٨٠م. ص ٧٣ .

١٢- على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية. فى عهد الناصر محمد بوجه خاص. طبعة سنة١٩٤٤م.ص ١٣٤ ، عبد العزيز محمود عبد الدايم. مصر فى عهد المماليك والعثمانيين. طبعة سنة ١٩٩٦م. ص ٦٦ .

فى خدمة الإسلام وحقن دماء المسلمين. وإقامة العلاقات الطيبة بينه وبين إخوانه وجيرانه من المسلمين. وقد رد قلاوون عليه بكتاب رحب فيه بدخوله الإسلام وزوال الأحقاد واستعداده للتعاون على خدمة الإسلام والمسلمين. غير أن المغول سرعان ما نقموا على تكودار أحمد لاعتناقه الإسلام فتآمروا على قتله[١٣].

واستمرت كذلك العلاقات بين دولة المماليك فى عهد المنصور قلاوون ، ودولة مغول القفجاق فى عهد كل من منكوتمر وتودامنكو (تدان منكو) من الود والمحبة وتبادل الهدايا والسفارات. من ذلك ما ذكره المقريزى فى حوادث سنة (٦٨٦هـ /١٢٨٧م) من أن السلطان المنصور قلاوون جهز :" هدية سنية إلى تودامنكو ومبلغ ألفى دينار برسم عمارة جامع قرم وأن تكتب عليه ألقاب السلطان وجهز حجار لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ[١٤] ". وهذا يدل على انتقال التأثيرات المملوكية إلى العمارة الفارسية المغولية مثلما حدث العكس[١٥].

وفى عهد الناصر محمد بن قلاوون زمن سلطنته الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣٠٩-١٣٤١م) وبعد وفاة غازان ملك مغول فارس تحسنت العلاقات بين السلطنتين وخاصة بعد أن اعتنقوا الإسلام وخلف غازان على العرش أولجايتو (٧٠٤-٧١٧هـ / ١٣٠٤-١٣١٧م) أوفد السلطان الناصر محمد السفراء لتؤكد له حرصه على توثيق عرا الصداقة ، وخاطب

أولجايتو المماليك فى خطابه بالأخوة وسأل إخماد الفتن وطلب الصلح[١٦]. وفى عهد أبو سعيد بهادر بن أولجايتو (٧١٧-٧٣٦ هـ / ١٣١٧-١٣٣٥م) حل الوئام بين مغول فارس والمماليك وظلت مصر بمأمن من غارات المغول إلى عهد تيمورلنك[١٧].

ولما انقسمت الدولة المغولية فى فارس وقامت دولة آل جلائر بالعراق طلب حسن الجلائرى من الناصر محمد بن قلاوون أن يمده بالمساعدات الحربية ليستعين بها على حرب فرع الدولة المغولية الآخر بفارس فساعده الناصر محمد الذى خطب باسمه على منابر بغداد ، ونقش اسمه على النقود الجلائرية[١٨].

أما عن علاقة الملك الناصر محمد بمغول القفجاق فظلت على ما كانت عليه قائمة على أساس المصافاة والمسالمة لدولة المماليك فى عهد طقطاى(٦٨٩-٧١٢هـ/١٢٩٠-١٣١٢م) المعاصر للناصر محمد ، وفى عهد خليفته أوزبك خان غياث الدين محمد(٧١٢-

---

١٣- فايد حماد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول (فى الدولة المملوكية الأولى) طبعة سنة ١٩٧٦م. ص ص ١٢٢-١٢٦ ، عبد العزيز عبد الدايم : المرجع السابق. ص ٧٩.

١٤- المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك. ٤ أجزاء ١٢ مجلد. ج١. ق٣.ص٧٣٨.

١٥- عبد العزيز عبد الدايم : تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك. مجلة المؤرخ المصرى. العدد ٣ يناير ١٩٨٩م. ص ص ١٣٧-١٣٩.

١٦- المقريزى: المصدر السابق. ج١. ق٣. ص٦ ، فايد حماد عاشور: المرجع السابق. ص ص ١٧٤-١٧٦.

١٧- المقريزى: نفس المصدر. ج٢. ق١. ص١٨٤ ، عبد العزيز عبد الدايم: مصر فى عصرى المماليك والعثمانيين. ص ١٠٠.

١٨- المقريزى: نفس المصدر. ج٢. ق٢. ص ص ٥١٥-٥٢٣ ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. ١٢جزء. طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩-١٩٥٦م. ج٩.ص ص ١٦٤-١٦٥.

٧٤٢هـ/١٣١٢-١٣٤١م) استمرت العلاقات الودية وتبودلت المراسلات والهدايا ، كما تزوج الناصر محمد بإحدى بنات أوزبك خان وهى الخاتون (دلنبية) أو (طولونية)[١٩].

وفى دولة المماليك الجراكسة زمن حكم السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ / ١٣٨٢-١٣٩٦م) داهم أطراف الإمبراطورية المملوكية خطر مغولى جديد تمثل فى غزو تيمورلنك (٧٧١-٨٠٧هـ / ١٣٧٠-١٤٠٥م) الذى كان متخذا من سمرقند عاصمة له. واستطاعت تجريدة عسكرية مملوكية أن تهزم فلول جيش تيمور وأسر أبرع قواده (اطلاميسن) وإرساله إلى القاهرة[٢٠].

وفى سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٥م) خرج برقوق على رأس حملة حربية لإعادة أحمد بن أويس الجلائرى إلى بغداد ومحاربة تيمور لنك ، وكتب تقليدا لأحمد بن أويس بنيابة السلطة فى بغداد ، أى يكون نائبا عن السلطان برقوق فى حكم بغداد ، فضرب السكة باسمه ، مما أضفى مكانة كبيرة على سلطنة المماليك. غير أن السلطان برقوق لم يصطدم بتيمورلنك مباشرة ليتاح لبرقوق الفرصة لإظهار شجاعته فى محاربة المغول التيموريين لأن تيمور كان يتجنبه دائما[٢١].

ولكن زمن حكم الناصر فرج بن برقوق اجتاح تيمورلنك بلاد الشام ، واستولى على أجزاء منها واضطرت دمشق للتسليم. وتشير المصادر أن تيمور نقض شروط الأمان الذى منحه لأهل دمشق وأمر بالقبض على كل من فى دمشق من أرباب الحرف والصنائع من حجارين ونقاشين وبنائين.... وغيرهم وترحيلهم إلى عاصمة ملكه سمرقند مما جعل كارثة دمشق لا تقتصر على الناحية الحربية وحسب بل تعدتها إلى الناحية الحضارية فانحطت عمائرها وفنونها وصنائعها وتأخرت أجيال. غير أنه ما لبث أن توفى تيمورلنك فى سمرقند عام (٨٠٧هـ/١٤٠٥م)[٢٢].

وإن كانت علاقة التيموريين بالمماليك بدأت عدائية إلا أن شاه رخ بن تيمور بدأ صفحة جديدة فى العلاقات بين دولته ودولة المماليك عام (٨٣٢هـ /١٤٢٨م) أى فى عهد السلطان برسباى (٨٢٥-٨٤١هـ / ١٤٣٢-١٤٤٨م) حيث إرسال سفيرا من قبله إلى سلطان مصر يطلب منه السماح بكسوة الكعبة وإرسال بعض المؤلفات لعلماء مصر

١٩- المقريزى: نفس المصدر. ج٢. ق١. ص ص ٢٠٣-٢٠٤ ، ابن تغرى بردى: نفس المصدر.ج٩. ص ٢٢٦ ، على إبراهيم حسن: المرجع السابق. ص ص ٢١٨، ٢٣١، جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر. طبعة سنة ١٩٤٧م. ص ص ٢١٨-٢٢٠.

٢٠- المقريزى: المصدر السابق. ج٣. ق٢. ص ٧٠٢ وما بعدها ، ابن عربشاه: عجائب المقدور فى أخبار تيمور. تحقيق على محمد عمر. طبعة سنة . ص ٩٧ ، عبد العزيز عبد الدايم:المرجع السابق. ص١٢٤.

٢١- ابن صصرى: الدرة المضيئة فى الدولة الظاهرية. تحقيق وليم برينر. طبعة كاليفورنيا سنة ١٩٦٣. ص ص١٤٨، ١٥٨، ١٦٢، عبد العزيز عبد الدايم: المرجع السابق. ص ١٢٥.

٢٢- ابن حجر: أنباء الغمر بأبناء العمر. ٤ أجزاء. طبعة حيدر أباد. ج٤. ص ١٩٣ ، عبد العزيز عبد الدايم: المرجع السابق. ص ص ١٢٧-١٢٩.

المعاصرين ، غير أن السلطان برسباى رفض ذلك على الرغم من تكرار شاه رخ لطلبه إذ خشى أن يكون وراء ذلك أطماع يريد تحقيقها فى الشام والحجاز[٢٣].

ولما تولى السلطان جقمق الحكم (٨٤٢-٨٥٧هـ / ١٤٣٨-١٤٥٣م) وجد نفسه أمام مشكلة لابد من تصفيتها وهى المشكلة المتعلقة مع شاه رخ فما كاد جقمق يعتلى العرش حتى أوفد شاه رخ بعثة للتهنئة بالسلطنة وصحبتها هدية ضخمة فأحسن جتمق استقبال الرسل ، كما وافق على السماح لشاه رخ بكسوة الكعبة سنة (٨٤٧هـ /١٤٤٣م) بشرط أن تكون الكسوة من الداخل فقط أو تحت كسوة السلطان المملوكى[٢٤].

وكذلك توثقت عرا الصداقة بين مصر المملوكية وأسبانيا بعد أن هزم سيف الدين قطز المغول فى موقعة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) وأمكن لمصر أن توقف السيل الجارف الذى كان يهددها ويهدد بلاد المغرب وأوروبا من غزو أكيد كاد يقضى على معالم حضارتها ، وارتفع بذلك شأن مصر وأخذ ملوك أسبانيا يخطبون ود سلاطينها بالسفارات المتتابعة ، وكان سلاطين مصر يردون على ذلك بسفارات أخرى ، ومنذ ذلك الحين توطدت أواصر الصداقة بين سلاطين مصر وملوك أسبانيا. وعقدت معاهدات الصداقة والسلم بينهم[٢٥]. منها فى ١٩صفر سنة ٦٩٢هـ / ٢٨يناير ١٢٩٢. وقعت بين الأشرف خليل بن قلاوون وخايمى الثانى ملك أرغون معاهدة صداقة وسلم ، واشترك فى هذه المعاهدة (دون شانجة) ملك قشتالة وطليطلة وليون وبلنسية وإشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان، والملك (دون إذفونش) ملك البرتغال[٢٦].

وفى ٥ رجب سنة ٦٩٩هـ /٢٨مارس سنة ١٣٠٠م. بعث السلطان الناصر محمد بن قلاوون رسالة إلى فرناندو الرابع ملك قشتالة، وفيها يذكر وصول سفارة الملك القشتالى برياسة الفارس (أنبر نادر دفارد) وقبوله ما طلبه من السماح للتجار الأسبان بالمرور فى الديار المصرية وزيارتها فى حرية تامة ، وكذلك للحجاج المسيحيين بأداء الحج إلى بيت المقدس. وعاد السفير المذكور مصحوبا بسفيرين مصريين هما: الأمير فخر الدين والقاضى حميد الدين يحملان هدية رائعة من القماش لملك قشتالة[٢٧].

وفى عهد الناصر محمد بن قلاوون لجأ إلى مصر أبو زكريا اللحيانى أحد ملوك الحفصيين فى تونس فساعده الناصر على العودة لعرشه ، فخطب للناصر على منابر تونس[٢٨].

٢٣- المقريزى: المصدر السابق. ج٤. ق٣. ص ص ١٠٩١، ١١٢٣ ، إبراهيم على طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة. طبعة سنة ١٩٦٠م. ص ٩٣.

٢٤- المقريزى: المصدر السابق. ج٤. ق٣. ص ص ١٢٠٨، ١٢١١ ، عبد العزيز عبد الدايم: المرجع السابق. ص ١٤١.

٢٥- المقرى التلمسانى: نفخ الطيب فى غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب. تحقيق د.إحسان عباس. طبعة بيروت سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م. ص ص ٣٣٥-٣٣٦، ٣٤٤-٣٤٦ ، ٣٧٢-٣٧٧ ، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق. ص ص ٩٠-٩٤، ٩٨.

٢٦- المقرى: المصدر السابق. ص ص ٣٣٥-٣٣٦ ، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق. ص ص ٩٠-٩١.

٢٧- المقرى: المصدر السابق. ص ص ٣٣٤-٣٣٦.

٢٨- عبد العزيز عبد الدايم: المصدر السابق. ص ١٠١.

وبعد الناصر استمرت علاقة الصداقة بين مصر وأسبانيا من خلال السفارات والرسائل الودية والهدايا السنية فى القرن (٨هـ/١٤م) وتابع التجار والحجاج الأسبان مرورهم وزيارتهم للديار المصرية. وجدد الملك الأشرف برسباى فى ٣٠ مايو سنة١٤٣٠م(٨٣٣هـ) معاهدة الصداقة والسلام المتبادل والتجارة بينه وبين ألفونسو الخامس ملك أرغون[٢٩].

وأيضا كانت العلاقات طيبة بين ملوك بنى الأحمر بغرناطة وسلاطين مصر ، يذكر على سبيل المثال السفارات المتبادلة بين ملك غرناطة محمد الخامس وسلطان مصر الأشرف شعبان فى النصف الأخير من القرن (٨هـ / ١٤م) ورغبة السلطان قايتباى فى إنقاذ غرناطة بمخاطبة الملكين الكاثوليكيين (فرديناندو ايزابيلا) سنة (٨٩٥هـ/١٤٨٩م) ولكن رغبته لم تتحقق. وكان من نتائج هذه العلاقات أن وفد على مصر عدد كبير من أهل غرناطة سواء للتعليم أو للتدريس ، وقد أقام فيها من طابت له الإقامة. وكانت حركة الاسترداد القومى الأسبانى قد أوشكت أن تجهز على دولة الإسلام بالأندلس التى انكمشت رقعتها بعد الهزيمة فى موقعة العقاب (أولاس نافاس دى تولوسا) سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) فهاجر عدد كبير من أهل الأندلس إلى المشرق عن مدنهم، وتوزع عدد منهم على بلاد المغرب ومصر ، وليس من شك فى أن من بين هؤلاء المهاجرين بعض الصناع وأرباب الحرف والعرفاء المعماريين الذين خالطوا أهل تلك البلاد فى كافة الأعمال والصناعات ، ومنها تشييد المبانى. ويدل على ذلك بعض قطع الزليج (القاشانى – الزلزلى) الأندلسى الذى عثر عليها فى حفائر الفسطاط ، والتأثيرات المعمارية الأندلسية الكثيرة الموجودة فى عدد كبير من عمائر المماليك[٣٠].

٤- استقدام الصناع والمهندسين من الأقاليم الإسلامية الأخرى للمشاركة فى بعض العمائر فى مصر. مما كان له أكبر الأثر فى تكييف الطرز المعمارية المختلفة والتقريب بينها وتأثير بعضها على بعض. من ذلك عندما أمر السلطان حسن بن قلاوون بعمارة مدرسته (٧٥٧-٧٦٤هـ/١٣٥٦-١٣٦٢م) بميدان القلعة طلب استقدام مهندسين من أقطار الأرض وأمرهم بعمارة مدرسته[٣١]. وهذا يوضح لنا أن المهندس المسلم كان يتجول فى بلاد العالم الإسلامى يعمل هنا وهناك ويستفيد من الخبرات وينقل التاثيرات ، مثال ذلك أيضا علم الدين تعاسيف الذى عمل بمصر والشام والموصل وبنى أبراجا بحماة ، وطاحونا على نهر العاصى للملك المظفر صاحب حماة المتوفى سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م). وهناك من اشتهر من المهندسين بالبراعة فى أعمال معينة من الأبنية مثال ذلك: جعفر القطاع الذى كانت له اليد الطولى فى هندسة الدور وعمارتها. ومن تخصص فى عمل الجسور مثل: أبو بكر بن البصيص البعلبكى الذى عمر جسر نهر الكلب سنة (٧٤٤هـ/١٣٤٣م) وجسر نهر الدامور الجارى بين صيدا وبيروت ، والمهندس قطلو بك بن سنقر مهندس الرى الذى عمر قناة

٢٩- المقرى: المصدر السابق. ص ص ٣٧٢-٣٧٧ ، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق. ص ص ٩٢-٩٤.

٣٠- المقرى: المصدر السابق. ص ٣٤٧ ، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق. ص ص ٩٤-٩٦،

Hautcoeur (L) et Weit (G): les mosquee du caire. 1932. P355.

٣١- غرس الدين خليل الظاهرى:زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. طبعة باريس سنة ١٨٩٤م. ص٣١.

بالقدس واستدعاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى مصر فعهد إليه بمشروع عمل قناة للماء من بركة الحبش لم تتم[٣٢].

وهناك من السلاطين من كان يقلد المبانى زائعة الصيت ، فيرسل المهندسين في استطلاعها لتقليدها أو الاقتباس منها من ذلك: عندما أراد السلطان الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون (٧٤٣-٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥م) إنشاء الدهيشة بقلعة الجبل فى سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٥م) ، وبلغه أن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة ، عمر بحماة دهيشة لم يبن مثلها ، رغب فى مضاهاتها وبعث المهندس أبجيج لمعاينة دهيشة حماة والاقتباس منها ، وكتب إلى نائب حلب ودمشق بحمل ألفى حجر أبيض وألفى حجر أحمر من حلب ودمشق إلى القاهرة ، وأمر بإحضار الصناع للعمل[٣٣].

بعد التقديم السابق للأسباب التى أدت إلى انتقال التأثيرات المعمارية من شرق العالم الإسلامى وغربه إلى مصر فى العصر المملوكى. نجد أن من بين مظاهر هذه التأثيرات فى العمارة المملوكية ما يلى:-

١-تمتاز مئذنة كل من مدرسة أزبك اليوسفى بالخضيرى(٩٠٠هـ/١٤٩٤-١٤٩٥م) ، والغورى بالجامع الأزهر (٩١٥هـ/١٥٠٩م) بوجود سلم مزدوج بين دورتها الثانية والثالثة. ووجود السلم المزدوج بالمآذن حيلة معمارية أراد بها المعمار المملوكى أن يستعرض ما وصل إليه فن البناء بالأحجار من التقدم والإتقان من الناحية الإنشائية[٣٤].

ووجود السلم المزدوج فى المآذن المصرية وافد من العراق حيث تأثرت المئذنتان السابقتان فى ذلك بمئذنة جامع نور الدين محمود فى الموصل بالعراق المعروفة بالحدباء لوجود ميل بها (٥٦٦-٥٦٨هـ/١١٧١-١١٧٣م). حيث يتم الصعود إليها عن طريق سلمين حلزونيين يدوران داخل البناء ولا يلتقيان إلا بأعلى المئذنة[٣٥].

وكذلك المنارة المظفرية التى تعتبر أبرز آثار مدينة أربيل[٣٦] قاطبة ، والمنارة لها بابان يفضيان إلى سلمين لا اتصال بينهما ، ويدوران حول أسطوانة فى داخل المنارة فيكون

٣٢- حسن عبد الوهاب: الرسومات الهندسية للعمارة الإسلامية. مقال بمجلة سومر. العدد(١٤)سنة١٩٥٨م. ص ٧٩ ، احمد تيمور: المهندسون فى العصر الإسلامى. طبعة سنة ١٩٧٩م. ص ص ٢٦ ، ٤٣-٥٠، صالح بن يحيى : تاريخ بيروت طبعة سنة ص ١٠٨.

٣٣- المقريزى: الخطط. ج٢ . ص٢١٢ ، حسن عبد الوهاب: التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر. ص ص ٩٦-٩٧.

٣٤- محمد مصطفى نجيب: العمارة فى عصر المماليك. ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها. طبعة سنة ١٩٧٠م. ص ٢٣٩.

٣٥- عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق. جزءان. طبعة سنة ١٩٨٢م. ج١. ص ص١٦١-١٦٤ ، ١٦٥ (لوحة ٣٢).

٣٦- أربيل مدينة عراقية قديمة ، وهى قاعدة محافظة أربيل. وقد شهدت كثير من الأحداث على مر العصور منذ العصر الأكدى (٢٣٥٠-٢١٥٠ ق.م) حتى العهود الإسلامية المختلفة. وهى نقطة الوصل بين مدينتى الموصل وكركوك إذ تبعد عن الأولى (٨٦كم) وعن الثانية(٩٣كم) وتقع أرضها ضمن منطقة محصورة بين وادى النهرين الزاب الأكبر والزاب الأصغر.
محمود عبد الجبار السامرائى: أربيل مدينة الشمس. مجلة الفيصل. العدد(٩٤)السنة الثامنة.ربيع الثانى١٤٠٥هـ/يناير١٩٨٥م. ص ص ٢٢-٢٦.

فى استطاعة شخصين الارتقاء إليهما فى آن واحد دون أن يرى أحدهما الآخر حتى يصلا إلى قمتهما. وهى مبنية بالآجر (الطابوق) وقد تهدمت قمتها بفعل عوامل الزمن[٣٧].

وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إلى مظفر الدين كوكبرى صهر البطل صلاح الدين الأيوبى الذى حكم أربيل فيما بين عامى (٥٩٢-٦٣٠هـ/١١٩٥-١٢٣٣م) ، وقد توفى فى عام (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ، ويعتقد أنها بنيت فى عهده. ويرجح أن تكون هذه المنارة قد ألحقت بجامع كان موجودا من قبل إذ تم العثور على أساسات جامع أقدم عهد من المنارة. يعتقد أنه بنى فى العصر الأموى أو أوائل العصر العباسى[٣٨].

وتمدنا المراجع التاريخية بأنه كان يوجد نموذج أقدم عهدا اتبع فيه ذات الأسلوب ألا وهى مئذنة جامع قرطبة التى شيدت فى عهد عبد الرحمن الناصر (الثالث) -٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م- فقد أمر ببناء مئذنة جديدة للجامع بدلا من المئذنة القديمة التى شيدت فىعهد هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) وذلك نظرا لأنها صارت صغيرة لا تتناسب مع الجامع بعد الإضافات التى تمت فيه. وقد بدأ العمل فيها سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م) وانتهى العمل فيها فى قرابة عام. وجعل معمار الناصر للمئذنة مطلعين (سلمين) بدلا من مطلع واحد ، وفصل بين المطلعين بالبناء ، فلا يتلاقى الراقون (الصاعدون) فيها إلا بأعلاها[٣٩].

٢- قام معمارى فارسى قدم من تبريز ببناء مئذنتى جامع قوصون (٧٣٠-١٣٣٠م) بالسروجية على مثال المئذنة التى عملها خواجا على شاه وزير السلطان أبي سعيد[٤٠] فى جامعة بمدينة توريز (تبريز) من بلاد فارس ، وكانتا على شكل مئذنة خانقاة المنشأة سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) وهى باقية إلى الآن بالقرافة الصغرى ، ويرجح أن المعمارى نفسه هو الذى قام ببناء مئذنتى جامع الناصر محمد بن قلاوون[٤١] سنة (٧٣٥-١٣٣٥م). التى تقع سنة بنائها بين سنى فترة بناء كل من الجامع والخانقاة ، وكان المعمارى ما زال موجوداً بالقاهرة. والمئذنتان حجريتان الأولى على يسار الباب الشمالى الشرقى ، والثانية على يمين الباب

٣٧- محمود عبد الجبار السامرائى: المرجع السابق. ص ٢٧.، عيسى سلمان وآخرون: المرجع السابق.ج١. ص ص١٨٠-١٨١ ، ١٨٣ (لوحة ٣٨).

٣٨- محمود عبد الجبار السامرائى: المرجع السابق. ص ٢٧.

٣٩- السيد عبد العزيز سالم: جامع قرطبة. كتاب الشعب. العدد٧٨.طبعة ١٩٦٠م. ص١٥٨ ، عبد الرحمن زكى: قرطبة الأمجاد العربية. مجلة الفيصل. العدد الثامن. السنة الأولى صفر١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ص ٤٦.

٤٠- هو السلطان أبوسعيد بهادر خان بن أولجايتو حاكم مغول فارس فيما بين عامى(٧١٧-٧٣٦هـ/١٣١٧-١٣٣٥م) وفى زمنه كانت علاقات الود والصداقة وتبادل الرسل والسفارات قائمة بين مغول فارس ودولة المماليك فى مصر.
المقريزى: السلوك.ج٢.ق٢.ص ص٥١٥-٥٢٣ ، ابن تغرى بردى: المصدرالسابق.ج٩. ص ص ١٦٤-١٦٥.

٤١- المقريزى: الخطط.ج٢.ص٣٠٧ ، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الآثرية.ج١.ص١٤١، العمارة الإسلامية(دولة المماليك البحرية- عصر الناصر محمد بن قلاوون). مجلة المجلة.العدد٧-٨ سنة١٩٤١م.ص٩٦ . Hautecoeur et Weit: op. cit. vol.II. pl90

الشمالى الغربى ، وتنتهى كل منهما بقمة ذات خوذة مفصصة (مضلعة) ومغشاة بالقاشانى الأبيض والأخضر[٤٢](لوحة رقم ١).

وقد شبه البعض قمتي مئذنتى مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالعمامة ، وهذا ربما يكون صحيحا. غير أننى شاهدت نوعا من ثمار الشمام يتواجد بكثرة فى العراق وإيران يشبه شكل قمتى المئذنتين[٤٣]. وربما يكون المعمارى الفارسى قد استلهم شكل قمتى المئذنتين من الطبيعة ، وهذا ليس ببعيد أو غريب حيث إننا نشاهد بعض قباب سمرقند فى مقبرة شاهى زندة ، وبعض قباب القاهرة كقبة ضريح تنكز بغا (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) أخذت شكل نبات الصبار[٤٤] ، ومئذنة قطب منار فى دلهى بالهند بنيت طبقا لنوع آخر من نبات الصبار[٤٥].

٣-أكسب المعمار فى العصر المملوكى بعض المداخل هيئة أكبر من هيئة الواجهة ، حيث جعل جدرانه مرتفعة عنها ، وكان أول ظهور هذا النوع فى مدخل مجموعة المنصور قلاوون بالنحاسين (٦٨٣-٦٨٤هـ/١٢٨٤-١٢٨٥م).

وظاهرة المدخل الذى يتوسط الواجهة كما فى مجموعة قلاوون ، أو بطرف منها كما فى مدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين (٧٨٦-٧٨٨هـ/١٣٨٤-١٣٨٦م) ، ومسجد المؤيد شيخ بالسكرية (٨١٨-٨٢٣هـ/١٤١٥-١٤٢٠م) ، وبيمارستانة بسكة المحجر (٨٢١-٨٢٣هـ/١٤١٨-١٤٢٠م) ويرتفع أعلى منها وافدة إلى مصر ضمن التأثيرات التى وفدت إليها من المشرق الإسلامى ، حيث تميزت بها المداخل فى واجهات المدارس الإيرانية وأضرحة بلاد الهند وأفغانستان وأزبكستان فى العصر السلجوقى والمغولى والتيمورى. وهذا الاهتمام بالمداخل يعطيها أهمية. ومن أمثلة ذلك مدخل مدرسة أنجى منار[٤٦] (أى المنارة الرشيقة) سنة (٦٥٩هـ/١٢٦٠م). ومدخل الجامع الأزرق الذى شيد فى منتصف القرن (٩هـ/١٥م) فى تبريز[٤٧].

٤٢- فى خانقاة بيبرس الجاشنكير(٧٠٦-٧٠٩هـ/١٣٠٦-١٣١٠م) بشارع الجمالية. يعلوكتلة المدخل المنارة، وقد كسيت قمتها المضلعة بالقاشانى الأزرق ، وهى أول تكسية عثر عليها برؤس المنارات، ولم تكن معروفة من قبل ، تلتها قمتا منارتى مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة وهذا من التأثيرات المغولية.
حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية.ج١.ص ١٣٣.

٤٣- هذا النوع من ثمار الشمام يسمونه عندهم(بطيخ) فى حين يطلقون على البطيخ الأحمر اسم (رقى) نسبة إلى مدينة الرقة ذات الشهرة العريقة بزراعة البطيخ الأحمر الذى كان يصدر إلى بغداد عاصمة العباسيين.
عبد الرحمن حميدة:الرقة.مجلة الفيصل العدد (٤٢) السنة الرابعة ذى الحجة ١٤٠٠هـ / أكتوبر-نوفمبر ١٩٨٠م. ص٣٦.

٤٤- ثروت عكاشة: القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية. طبعة سنة١٩٨١م.ص١٤٢ لوحة١٢٥، ص٢٣٧ لوحة٢٢٢ ، oleg Grabar:Islamic Architecture and its decoration.London .1907.pl71.

٤٥- ثروت عكاشة: المرجع السابق. ص١٢. لوحة(١ ، ٢).

٤٦- ثروت عكاشة: المرجع السابق. ص١٣٤. لوحة (١٢١ب).

٤٧- زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى. طبعة دار الرائد ببيروت. لبنان سنة١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ص ص ٢٠ ، ٣١.

ولم يقتصر اهتمام المعمار فى شرق العالم الإسلامى على المداخل التى بالواجهات وحسب ، ولكن امتد الاهتمام ليشمل إيوانات المدارس والمساجد المحيطة بالصحن فجعلها أكثر ارتفاعا لإضفاء الهبة والجمال على المكان ، وقد تأثر بذلك واجهة إيوان القبلة والإيوان المقابل له فى خانقاة الناصر فرج بن برقوق (٨٠٣-٨١٣هـ / ١٤٠٠-١٤١١م) بصحراء المماليك إذ جعلها أكثر ارتفاعا من واجهتى الإيوانين الجانبيين.

٤- فى بعض العمائر وخاصة ما يمتاز منها بالضخامة واتساع المساحة ، تكشف طريقة تخطيطها وتنفيذها عن أنه لم يكن يشرف على الواحدة منها مهندس كبير مسئول واحد يقبض على زمام المشروع المعمارى كله من أوله إلى آخره ، بل كان ينتقل بعد الخطوة الأولى وهى تخطيطه على الأرض[٤٨] إلى توزيع العمل على مجموعة من مهندسين أو بنائين كبار على مستوى المعلمين أو رؤساء الصناع. بحيث يختص كل منهم بجزء من المبنى حسب قدرته ، ثم يوزع هو العمل فيه إلى من هم دونه من النحاتين والبنائين والصناع من جصاصين ومرخمين ونجارين .... وهكذا. وكان يترك لبعضهم شيئا من حرية التصرف فى التفاصيل وهذا يوضح لنا السبب فى ظهور عدة تأثيرات معمارية وفنية مختلفة الموطن فى مبنى واحد ويظهر هذا جليا مثلا فى مجموعة المنصور قلاوون ويتمثل ذلك فى :-

أ- إيوان القبلة بمدرسة المنصور قلاوون لم يسبق له مثيل بمصر ، حيث ينقسم إلى ثلاثة أروقة بواسطة صفين من البوائك عقودها عمودية على جدار القبلة ، أوسعها الرواق الأوسط وهو تأثير مسيحى وافد من الشام ، والرواق الأوسط مغطى الآن بسقف خشبى مستو يعود لأواخر القرن (١٣هـ/١٩م) من تجديدات لجنة حفظ الآثار العربية ، إلا أن العقد الدائرى الذى يضم الشبابيك الثلاثة التى فوق المحراب ، والشبابيك الثلاثة المطلة على الصحن يدل على أن السقف كان مغطى بقبو معقود ، فى حين أن سقفي الرواقين الجانبين كانا يغطيان بأقبية متقاطعة ، وهذا من تأثير العمائر المسيحية فى بلاد الشام[٤٩]. أو نقله معماريون من الأندلس عند هجرتهم فرارا من المسيحيين الأسبان أثناء فترة الاسترداد المسيحى. ويدعم الرأي الأخير أن في هذا الإيوان يعلو عقود البوائك مستوى ثان من العقود ترتكز أرجلها على دعامات تتكىء على كوابيل كالتى نراها فى جامع قرطبة وان هذا النموذج لم يطبق بهذا الأسلوب من قبل إلا فى جامع قرطبة بالأندلس[٥٠].

ب – القبة الضريحية بمجموعة المنصور قلاوون ذات تصميم غريب بالنسبة للقباب الأخرى بمصر ، وربما هو متأثر إلى حد ما بتخطيط قبة الصخرة بالقدس الشريف[٥١].

٤٨- الطبرى:تاريخ الرسل والملوك. ١٢جزء.طبعة القاهرة١٩٣٩م.ج٦. ص٢٣٧، المقريزى: المرجع السابق.ج٢.ص٣٠٠ ، حسن عبد الوهاب: الرسومات الهندسية. ص ص ٧٦-٨٧، فريد شافعى:المرجع السابق. ص ٣٠٧.

٤٩- حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الآثرية.ج١. ص١٢٠.

٥٠- السيد عبد العزيز سالم: جامع قرطبة.ص ص١٥٥-١٥٦، حسن عبد الوهاب:مدرسة وقبة وبيمارستان المنصور قلاوون. كتاب الشعب. العدد(٧٥)لسنة ١٩٦٠م. ص١١٠. ،

David Iames: Islamic art an introduction printed in Great Britain. 1977. p78. pl82.

٥١- حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الآثرية.ج١. ص ١٨ ، حسنى نوريصر: العمارة الإسلامية فى مصر (عصر الإيوبيين والمماليك).طبعة سنة ١٩٩٦م. ص ص ١٧٠-١٧١ ،

Micheal Rogers: The spread of Islam printed in Belgium 1976. pp124-125.

ج – تقع مئذنة مجموعة المنصور قلاوون بالطرف الشرقى من واجهة الضريح ، وهى تتكون من ثلاثة طوابق ، وقد ظهرت بها بعض التأثيرات الأندلسية ممثلة فى البدن الأول والثانى المربعين والممتدين لأعلى[٥٢] ، والعقود الحدوية المتجاوزة (أى متجاوزة عن مركز الدائرة) بالطابقين ، والعقود الثلاثية الفصوص التى تزين نهاية الطابق الثانى ، وأشكال البوائك ذات العقود الثلاثية المتقاطعة بالطابق الثالث. ويذكر البعض أنها تشبه تلك التى توجد فى العمارة القوطية وأن هذا تأثير وافد من بلاد الشام نتيجة الوجود الصليبى بها والذى استمر نحو ثلاثة قرون ولكن هذا فى الحقيقة تأثير أندلسى نجده من قبل فى واجهة مسجد قرطبة[٥٣] ، والجزء العلوى من مئذنة جامع الكتبية بمراكش ، وواجهة مسجد الباب المردوم ، وواجهة بوابة الشمس فى أسوار طليطلة[٥٤].

د– القندلية البسيطة التى تعلو فتحة الدخول بكتلة المدخل الرئيسى بمجموعة المنصور قلاوون بها ثلاثة أعمدة رخامية يزين جزءها السفلى تجاويف رأسية فى حين يزين جزءها العلوى أقصاب حلزونية. وهذه الأعمدة متأثرة بأعمدة العمارة المسيحية (البيزنطية) فى بلاد الشام.

هـ– واجهة مجموعة قلاوون (الضريح والمدرسة) ذات طراز غير مألوف فى عمائر مصر ، وربما كان هذا من ظواهر التأثيرات الصليبية ببلاد الشام عليها ، المتأثرة بدورها بالعمارة الرومانسكية والقوطية[٥٥].

ولا يمكن أن ينتج ما سبق ذكره إلا من بعض الحرية التى منحت لكل من عمل فى جزء على حدة ، كما أنه يضع جوابا لسؤال يدور فى خلد الكثيرين ، وهو كيف يتم إنجاز عمل ضخم على سبيل المثال مثل مجموعة المنصور قلاوون خلال فترة زمنية وجيزة ؟.

٥– فى الزيادة التى تمت بجامع القرويين بفاس سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) فرش الفقيد أبو عبد الله داود صحن الجامع ، وصنع بكرا وأشرطة غليظة ركبها فى قلاع من شقاق

٥٢– من مآذن جامع دمشق (٨٨-٩٦هـ/٧٠٧-٧١٤م) انتشر نظام المآذن المربعة إلى مصر وشمال إفريقيا ، وأقدم أمثلتها الباقية مئذنة جامع القيروان الذى أسسها بشر بن صفوان سنة (١٠٥هـ/٧٢٤م) بأمر الخليفة الأموى هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) للمئذنة الأولى لجامع قرطبة. وهذا النوع من المآذن استقر وتطور فى شمال إفريقيا والأندلس وفاق مثيله من المآذن السورية. ولايزال هذا النوع من المآذن منتشرا فى المغرب ويطلق عليه الاسم القديم وهو الصومعة ، فلا غرو أن تكون القواعد والأبدان المربعة للمآذن المصرية مثل مئذنة مشهد الجيوشى ، ومئذنة مجموعة المنصور قلاوون قد تأثرت بها عن طريق المغرب والأندلس وليس عن طريق سوريا.
السيد عبد العزيز سالم: المسجد الجامع بالقيروان. كتاب الشعب. العدد٧٨. ص١٧٣ ، بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية.ص٩٧.

٥٣– Micheal Rogers. Ibid. p39.

٥٤– عبد الرحمن صدقى: السيد فى التاريخ الأندلسى. المجلة. العدد ١٨ سنة ١٩٥٨م. ص ٨٣.

٥٥– حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الآثرية. ج١. ص١١٦، مدرسة وقبة وبيمارستان المنصور قلاوون ص١٠٨.
يرى الكتور حسنى نويصر أن أسلوب تعدد مستويات الشبابيك هو فى أصله تأثير إسلامى عرف فى واجهة قاعة العرش بقصر الأخيضر بالعراق ، ومئذنة جامع القيروان بتونس.
حسنى نويصر: العمارة الإسلامية فى مصر. ص ١٧١.

الكتان على قدر الصحن ، ونصبها بأعلى الصحن ، فإذا اشتدت حرارة الصيف ، شدت البكرات فنصبت القلاع وظللت الصحن كله[٥٦].

ويعد هذا أول مثال وصلنا ذكره لتغطية صحن أوسط مكشوف بمسجد أثناء حرارة الصيف. وربما تأثرت بذلك مدرسة الأمير صرغتش الناصرى(٧٥٧هـ/١٣٥٦م) بالقاهرة ، حيث توجد بالحافة العلوية لصحن المدرسة بقايا حلقات يرجح أنها كانت مخصصة لتركيب ظلة من القماش لتظليل صحن المدرسة أثناء حرارة الصيف.

٦- فى قرية تنمل المغربية أنشأ الموحدون سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) مسجداً يستلفت النظر فى العقود التى وصلت إلينا منه ، وذلك النوع من العقود يسمى فى بلاد المغرب باسم (كتف ودرج). وهو يتميز بأنه عقد حدوى مدبب القمة من الخارج (مخموس) ، ومن الداخل باطنه نصف دائرى حدوى. تتسع (تكبر) صنجاته عند الصنجة المفتاحية وتصغر كلما اتجهنا إلى رجلى العقد[٥٧].

وقد أثر ذلك النوع من العقود فى واجهة قصر الأمير طاز بشارع السيوفية (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) ، حيث نجد عددا من العقود تشبه إلى حد كبير هذا النوع من العقود ، ولكنه يتميز بأن شكله الخارجى على هيئة عقد مدبب ذى مركزين ، وباطن العقد من الداخل مدبب أيضا ولكن دون الشكل الحدوى عند الأرجل ، وتتسع (تكبر) صنجاته عند الصنجة المفتاحية وتصغر كلما اتجهنا إلى رجلى العقد.

٧- ذكر أن مهندس خانقاة بيبرس الجاشنكير (٧٠٦-٧٠٩هـ/١٣٠٦-١٣١٠م) كان مغوليا[٥٨]. ويتضح التأثير المغولى فى تكوين المدرسة التى تتكون من أربعة إيوانات تحيط بصحن مكشوف. ويتميز الإيوانان الجانبيان الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى بأنهما لا يفتحان على الصحن بكامل اتساعهما ، ولكن بفتحة باب عالية متوجة بعتب يعلوه شباك له صدر مقرنص. وعلى جانبى هذين الإيوانين أنشئت خلاوى الصوفية بعضها فوق بعض فى ثلاثة طوابق. حليت أعتابها بمقرنصات وعقود متنوعة.

وهذا التكوين من التأثيرات التى وصلت إلى مصر من آسيا الوسطى متأثراً بطبيعة الظروف المناخية التى تزيد فيها البرودة وتكثر الأمطار فى فصل الشتاء نسبياً[٥٩]. وقد وصلنا نموذج من منطقة آسيا الوسطى يعود للفترة التيمورية يتشابه إلى حد كبير مع خانقاة بيبرس الجاشنكير ألا وهو مدرسة بيبى خانم (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) فى سمرقند. وهى تتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به أربعة إيوانات ، ويتميز الإيوانان الجانبيان بأنهما لا يفتحان على

٥٦- السيد عبد العزيز سالم: مسجد القرويين بفاس. كتاب الشعب. العدد ٧٨. سنة ١٩٦٠م. ص١٨٢.

٥٧- محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس. طبعة سنة ١٩٧٤م. ص٨٦ ، شكل ٣٣ ، ٣٤ .

٥٨- محمود أحمد: تاريخ العمارة الإسلامية (مدرسة صرغتش) مجلة الهندسة. العدد (١٤). يناير ١٩٣٤.

٥٩- فريد شافعى: المرجع السابق. ص٢٨٨.

الصحن بكامل اتساعهما ولكن كل منهما مغلق ويربط بينه وبين الصحن فتحة باب تفتح في الصيف وتغلق في الشتاء حيث كان هذان الإيوانان مخصصين لتدريس الطلبة[٦٠].

ولعل هذا الأسلوب قد تأثرت به بعض مساجد القاهرة في العصر المملوكي في عمل سياج من الخشب الخرط يفصل بين ظلة القبلة حيث يكثر عدد المصلين والصحن كما في مسجد الملك الجوكندار (٧١٩هـ/١٣١٩م) ، ومسجد الطنبغا المارداني بخط التبانة (٧٣٨-٧٤٠هـ/١٣٣٧-١٣٤٠م)[٦١]، والجامع الأزهر في عهد السلطان قايتباي (٩٠٠هـ/١٤٩٥م)[٦٢] وذلك لحماية المصلين في ظلة القبلة من التقلبات الجوية وتقليل الحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء.

٨- تأثر بتخطيط إيوان القبلة في مدرسة المنصور قلاوون ، إيوان القبلة في كل من مدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين(٧٨٦-٧٨٨هـ/١٣٨٤-١٣٨٦م) ، والمدرسة الفخرية (جامع البنات) بشارع بورسعيد (٨٢١هـ/١٤١٨م). حيث قسم إيوان القبلة في كل منهما إلى ثلاثة أروقة أكبرها الرواق الأوسط ، وذلك بواسطة صفين من الأعمدة الضخمة من الجرانيت الأحمر الوردي. وسقف كل من الإيوانين من الخشب ، ويتميز الرواق الأوسط بأن سقفه عبارة عن رقعة واحدة يتوسطها صرة مخوصة ، ومحلى بنقوش الذهب. وهو من أنفس السقوف[٦٣]. ويعرف باسم (سقف عجمي)[٦٤]. وهو من الأسقف التي شاعت في الشام. وخاصة سوريا. وعلى نسقهما عمل سقف إيوان القبلة والإيوان المقابل له بمدرسة الأشرف برسباي بالتربيعة بشارع المعز لدين الله (٨٢٩هـ/١٤٢٥م). وقد أصلحت لجنة حفظ الآثار العربية سنة (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) جزءاً من سقف إيوان القبلة الذي كان قد أصابه التلف[٦٥].

وكان هناك تأثيراً آخر غير مباشر على إيوانات القبلة في بعض المدارس والخانقاوات حيث قسم ايوان القبلة في كل من خانقاة بيبرس الجاشنكير(٧٠٦-٧٠٩هـ/١٣٠٦-١٣١٠م) ، ومدرسة صرغتمش (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) ومدرسة الجاي اليوسفي (٧٧٤هـ/١٣٧٣م) ، والمدرسة الباسطية بالخرنفش[٦٦] (٨١٣-٨٢٣هـ/١٤١٠-١٤٢٠م) إلى ثلاثة أقسام أكبرها القسم الأوسط ، وهذا التقسيم لم يتم بواسطة أعمدة ، ولكن عبارة عن جزء أوسط متسع على جانبيه دخلتان كبيرتان ، وهذا تأثير غير مباشر من العمارة الشامية.

٩- عرفت مصر في العصر المملوكي نوعا من كتل المداخل المبنية بالحجر تتميز بأنها تتكون من حجر غائر مرتفع على جانبيه مكسلتان ، ويتوج الحجر من أعلى نصف قبة

٦٠- صابر كوربانوف: سمرقند. أعداد فيتالي نومكين. ترجمة صلاح صلاح. إصدار المركز الثقافي بدولة الإمارات العربية المتحدة. طبعة سنة ١٩٩٦م. ص ص ٥٥-٥٦ ،
Oleg Grabar: op. cit. pp52-54.

٦١- حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الآثرية. ج١. ص١٤٩.

٦٢- ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ٥أجزاء. ٦مجلدات. طبعة سنة ١٩٨٤م. ج٣. ص٣٠٦.

٦٣- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق. ص ص١٩٦، ٢١٦.

٦٤- صالح لمعي: التراث المعماري الإسلامي في مصر. طبعة بيروت سنة ١٩٨٤م. ص٨٦.

٦٥- حسن عبد الوهاب: نفس المرجع. ص٢٢٣.

٦٦- حسن عبد الوهاب: نفس المرجع. ص ص١٦٢، ٢٠٤.

مخروطية[٦٧] الشكل مشغولة بالمقرنصات ، كما عرفت نوعا آخر من هذه المداخل يتوج حجو المدخل فيها طاقية ملساء أو مفصصة ترتكز على صفوف من المقرنصات (لوحة رقم٢) والنوع الأخير من المداخل الذى ترتكز فيه القبة على صفوف من المقرنصات ما هو إلا قطاع لقبة(نصف قبة) مخروطية كانت تنتهى قمتها بقبة صغيرة (قبيبة)- لوحة رقم٣- وكان ظهور النوع الأخير فى العمارة المصرية أسبق من ظهور النوع الأول. حيث ظهر أول مثال له معروف فى مدرسة الظاهر بيبرس البندقدارى (المندرسة)-٦٦٢هـ/١٢٦٣م- ببين القصرين ، نقلا عن العمارة الشامية (السورية) إذ نراه فى أمثلة سابقة التاريخ تعود للعصر الأيوبى فى المدرسة الشاذبختية[٦٨] (٥٨٩هـ/١١٩٣م) بحلب، والمدرسة الظاهرية البرانية (٦١٠هـ/١٢١٣م) بحلب، والمدرسة السلطانية (٦١٣-٦٢٥هـ/١٢١٦-١٢٢٧م) بحلب. وبعد ذلك فى مدخل مدرسة الظاهر بيبرس بدمشق (٦٧٧هـ/١٢٧٧م) وهو يتفق مع مدخل المدرسة الظاهرية بالقاهرة السابق ذكره[٦٩]. ثم انتشر بعد ذلك فى مصر اعتبارا من القرنين(٨-٩هـ/١٤-١٥م) كما فى مدخل مدرسة السلطان حسن (٧٥٧-٧٦٤هـ/١٣٥٦-١٣٦٢م) ، ومدخل جامع المؤيد شيخ(٨١٨-٨٢٣هـ/١٤١٥-١٤٢٠م).

وإذا كانت تغطية النوع الثانى من المداخل جاءت نقلا عن بلاد الشام ، فإن تغطية النوع الأول من المداخل وفدت إلى مصر من الأناضول[٧٠] ونراها فى كتلة مدخل مدرسة أم السلطان شعبان (٧٧٠هـ/١٣٦٨-١٣٦٩م) بشارع باب الوزير (لوحة رقم ٤) وهو متأثر فى ذلك بكتلة المدخل الرئيسى بسلطان خان بالأناضول (لوحة رقم ٥) الذى شيده علاء الدين

٦٧- كانت نشأة طراز القباب المخروطية فى خرسان ، وأقدم ما وصلنا منها يغطى ضريح جند قابوس فى جرجان المؤرخ بسنة (٣٩٧هـ/١٠٠٧م) وانتشر إلى سائر أنحاء الشرق الإسلامى ، وشاع استعماله فى العصر السلجوقى منذ منتصف القرن(٥هـ/١١م).
زكى محمد حسن: فنون الإسلام.ص٨٨، عطا الحديثى وهناء ثروت: القباب المخروطية فى العراق. طبعة بغداد سنة١٩٧٤م. ص ص١٢-١٣.
وقد أقيمت القباب المخروطية على الأضرحة بصفة خاصة. وهى ذات أشكال مختلفة الأول: قبة مخروطية ذات مقرنصات من الداخل والخارج ، والثانى: قبة مخروطية مقرنصة من الداخل فقط ، والثالث: قبة مخروطية مضلعة من الخارج ويختلف عدد أضلاعها باختلاف قطر جدران الضريح. والقبة فى هذه الأنواع الثلاثة ذات مستويين مخروطين بينهما فراغ. وهناك شكل رابع: وهو القبة المخروطية المقرنصة من الخارج ويكون الداخل على شكل القبة النصف دائرية ، وبين المستويين فراغ أيضا.
عطا الحديثى وهناء ثروت: المرجع السابق. ص ص ١٣-١٤.

68 -Creswell (K.A.C): The muslim Archuitecture of Egypt 2 vols (1951-1960) vol2. pls45(A.B),74.

٦٩- حسن عبد الوهاب: التأثيرات المعمارية. ص ٩٣ ، صورة رقم ٢٣ ، ص ٩٦.

٧٠- بعد أن تمكن السلاجقة من السيطرة على إيران والعراق والشام اصطدموا بالدولة البيزنطية التى كانت تحكم آسيا الصغرى (الأناضول) وتمكنوا من الاستيلاء على بعض المدن فيها ، واتخذوا مدينة قونية عاصمة لهم. وقد ازدهرت العمارة والفنون السلجوقية فى هذه البلاد فى القرن(٧هـ/١٣م) ، وشيد بها السلطان علاء الدين قيقباد كثيراً من العمائر. ومن بلاد الأناضول وفدت إلى مصر كثير من التأثيرات المعمارية والفنية.
شريف يوسف: المساجد وفن العمارة الإسلامية. مجلة الفيصل. العدد(٣٠). السنةالثالثة ذى الحجة١٣٩٩هـ/ نوفمبر ١٩٧٩م. ص ٩٩.

قيقباد الأول السلجوقى الذى حكم فيما بين سنتى (٥٩٧-٦٣٥هـ/١٢٠٠-١٢٣٧م) ويشبهه البعض بشكل الخيمة ذلك المأوى التقليدى لقبائل السلاجقة فى موطنهم الأصلى بأواسط آسيا[٧١].

وإذا كانت بعض المداخل المملوكية سالفة الذكر قد تأثرت بالقباب المخروطية فى المشرق الإسلامى ، فبعض المداخل المملوكية الأخرى تأثرت بنوع من الأقبية الوافدة من المغرب الإسلامى خاصة بلاد الأندلس. وهو نوع معقد قسم فيه القبو إلى تقاسيم هندسية متعددة تتشعب خطوطها فى كل ركن من أركان القبو كهيئة المروحة ، بحيث تترك فراغا فى وسط القبو تشغله قبيبة وهو ما يطلق عليه اسم القبو المروحى البسيط ومن أمثلة القبو الذى يغطى دركاة كل من مدرسة الظاهر برقوق (٧٨٦-٧٨٨هـ/١٣٨٤-١٣٨٦م) بالنحاسين ، وخانقاة الناصر فرج بن برقوق (٨٠٣-٨١٣هـ/١٤٠٠-١٤١١م) بصحراء المماليك. أو يشغل الوسط شكل صليبى[٧٢] ينتهى فى كل من أذرعه الأربعة بشكل معين وهو ما يطلق عليه اسم القبو المروحى المركب. ويتضح ذلك فى القبو الذى يغطى دركاة مدخل كل من جامع الجاى اليوسفى بسوق السلاح (٧٧٤هـ/١٣٧٣م) ، وجامع المؤيد شيخ (١٤١٥-١٤٢٠م) بالسكرية (لوحة رقم ٦).

وتتميز كل المداخل المتأثرة بالقبو المروحى بأن حجر المدخل فيها متوج بعقد مدائنى ترتكز طاقيته على تخويصات كالتى نشاهدها فى أركان القبو المروحى وكان أول ظهور ذلك فى مدخل خانقاة الأشرف برسباى (٨٣٥هـ/١٤٣٢م) بصحراء المماليك.

ومن مداخل هذا النوع آخر متطور عبارة عن عقد مدائنى تعتمد طاقيته على تخويصات تحصر فى الأركان حنايا ركنية كما فى خانقاة الأشرف ينال (٨٥٥-٨٦٠هـ/١٤٥١-١٤٥٦م) بصحراء المماليك ، وبعد تمرس المعمار شغل هذه الحنايا بمقرنصات. وقد عرف هذا النوع لأول مرة فى مدخل مدرسة السلطان قايتباى (٨٧٧-٨٧٩هـ/١٤٧٢-١٤٧٤م) بصحراء المماليك. وهذه الحنايا الركنية المزخرفة بالمقرنصات متأثرة فى شكلها بمدخل مدرسة أم السلطان شعبان.

١٠- سقطت خوذة القبة الضريحية بمدرسة السلطان حسن سنة (١٠٧١هـ/١٦٦١م) وجددها إبراهيم باشا والى مصر سنة (١٠٨٢هـ/١٦٧١م)[٧٣] ، وكان قد تحدث عن القبة الأصلية بعض المؤرخين نظراً لعظمة عمارتها فيقول المقريزى عن المدرسة وقبتها:" فلا يعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكى هذا الجامع وقبته التى لم يبن بديار

٧١- ثروت عكاشة: المرجع السابق. ص٢٨٤. لوحة رقم (٢٨٠).

٧٢-يرجع هوتكر أصل هذا النظام إلى تأثير سورى ، إذ أنه ظهر فى مدرسة الأمير تنكيز بالقدس عام (٧٢٨-٧٢٩هـ/١٣٢٨-١٣٢٩م) ، كما وجد فى مدرسة الأمير أرغون بالبلدة نفسها.

= Hautecoeur et Wiet: op. cit. p277.

= غير أن الدكتور/السيد عبد العزيز سالم: ينكر عليه هذا الرأى ويقول: أن هوتكر نسى أن الشكل الصليبى الذى يشغل الجزء المركزى للقبو يرجع إلى تقاليد أندلسية مغربية ، إذ أن هذا الشكل الصليبى للأقبية ظهر فى قرطبة مع الضلوع المتقاطعة التى تؤلف الهيكل البنائى للقباب ، وتطور بعد ذلك إلى صور زخرفية فى طليطلة وسرقسطة وتلمسان بحيث فقدت الضلوع المتقاطعة بأقبية مسجد الباب المردوم ومسجد الدباغين بطليطلة وقبة المحراب بجامع تلمسان وظيفتها المعمارية.

السيد عبد العزيز سالم: بعض التأثيرات الأندلسية. ص ص٩٧-٩٨.

٧٣- هرتس باشا: تاريخ جامع السلطان حسن. طبعة سنة ١٩٠٢م. ص١٥ ، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية. ص١٧٣.

مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها[٧٤] ". ويقول ابن تغرى بردى:" أن هذه المدرسة ومئذنتيها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهى أحسن بناء بنى فى الإسلام[٧٥] ".

ووصف القبة السائح بيترودى لافاللييه الذى زار مصر وكتب رحلته سنة (١٠٢٥هـ/١٦١٦م) بقوله: " وتجاه القلعة جامع لم أر أجمل منه منظراً ولا أبدع منه شكلاً. وأحسن ما راقنى منه قبته وشكلها الغريب التى لم أشاهد مثلها ، فإنك بينما تراها ضيقة من الأسفل تتسع فى عينيك كلما تعلو ، ثم تأخذ فى الضيق على هيئة بيضة الدجاج[٧٦] ".

ونحن إذا دققنا النظر نجد أن وصف بيترودى لافاللييه ينطبق تماما على شكل قمة المئذنة الجنوبية(لوحة رقم ٧) وهى الأصلية ، فلا غرو إذن أن القبة الأصلية[٧٧] التى كانت تغطى الضريح كانت مشيدة على نفس النسق أى أن خوذة القبة الضريحية وقمة المئذنة كانتا ترديداً لبعضهما البعض. وهذا ليس بغريب حيث سبق ذلك بعض الأمثلة فى قمة مئذنة جامع القيروان (١٠٥هـ/٧٢٤م) ، وقبة المسجد ذاته (٢٢١هـ/٨٣٦م) ، وكذلك قمة منارة أبي الغضنفر أسد الفائزى وقبته بالقاهرة أواخر العصر الأيوبى (أوائل القرن٧هـ/١٣م) ، وقمة مئذنة خانقاة سلاروسنجر الجاولى والقبتين الحجريتين بنفس الخانقاة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) وربما ذلك كان من التأثيرات المعمارية غير المباشرة التى وفدت إلى مصر عن طريق شمال إفريقيا والأندلس.

١١- ومن جهة أخرى تأثرت مدرسة السلطان حسن بأبنية الأناضول السلجوقى ، وخاصة مدرسة جوك سيفاسى (٦٧٠-٦٧١هـ/١٢٧١-١٢٧٢م) ويلاحظ ذلك فى :-

أ- فتحات الشبابيك بواجهات الضريح كل منها فى دخلة متوجة بعقد مدبب ذى أربعة مراكز ترتكز رجلاه على عمودين ، وبصدر كل عقد عقد آخر مخروطى وهذا تأثير مباشر من الجزء العلوى لكتلة المدخل بمدرسة جوك (لوحة رقم ٧ ،٨). وقد علق على ذلك حسن عبد الوهاب بقوله: " وقد حليت أعتاب وشبابيك القبة بمقرنصات وعقود غربية[٧٨] ".

ب- كتلة المدخل الرئيسى فى مدرسة السلطان حسن تتشابه إلى حد كبير مع كتلة مدخل مدرسة جوك فى التكوين العام(لوحة رقم ٢ ، ٨) وفى بعض العناصر الزخرفية. وليست العبرة هنا في تشابه العناصر بقدر ما هى فى تناول المعمار السلجوقى والمعمار المصرى المملوكى لنفس فكرة التصميم التى تكشف عن طابع كل منهما ، حيث إن صفاء التكوين المعمارى فى كتلة مدخل السلطان حسن وتصميم باقى عناصره فى توازن واضح

٧٤- المقريزى: الخطط. ج٢. ص٣١٦.

٧٥- ابن تغرى بردى: حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور. طبعة كاليفورنيا سنة ١٩٣٠م. الفصل الثانى. ص ٢١٩.

٧٦- هرتس باشا: المرجع السابق. ص ص ١٥-١٦.

٧٧- كانت القبة الأصلية من الخشب المغطى بألواح من الرصاص ، وعلى ذلك تكون هذه القبة رابع قبة خشبية كبيرة فى مصر ، إذا الأولى قبة الأمام الشافعى ، ثم قبة مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى ، فقبة مدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين.

حسن عبد الوهاب: المرجع السابق. ص ١٦٩، ١٧٣.

٧٨- جسن عبد الوهاب: المرجع السابق. ص١٧٠.

مذهل يعكس عبقرية المعمارى المصرى فى تناوله لعناصر المبنى من النـــاحيتين التحليليـة والتركيبية[٧٩].

وكان من المزمع تشييد أربع مآذن بمدرسة السلطان حسن اثنتان منهما علـــى جـانبى كتلـة المدخل كما فى مدرسة جوك غير أنه لم يتم بناؤهما بسبب سقوط المئذنة التى كـــانت علـى الكتف الأيمن لكتلة المدخل وأدت إلى موت عدد من أيتام المسلمين[٨٠] فأبطل السلطان حســن بناء المنارة الثانية على الكتف الأيسر.

ج- بالركنين الجنوبى والشرقى من مدرسة السلطان حسن يوجد برجـان مسـتديران بهما تضليع خفيف[٨١] استغلهما المعمار كقاعدتين للمئذنتين الجنوبية والشرقية. متأثرا فى ذلـك بالأبراج التى كانت منتشرة فى العمائر الإيرانية منذ قبل الإسلام ، وشاع استعمالها فى عمـائر السلاجقة ومن بعدهم المغول والتموريين ، وقد وجدت هذه الأبراج فى نواصى واجهة مدرسة جوك ذات التأثير المباشر على مدرسة السلطان حسن(لوحة رقم ٧، ٨).

د- بطرفى كتلة المدخل الرئيسى لمدرسة السلطان حسن يوجد أسطونان[٨٢] حجريان ، كما يوجد بطرفى الواجهة الجنوبية الشرقية للضريح بذات المدرسة أسطونان آخران ويزيـــن هذه الأساطين الأربعة زخرفة حلزونية وقد تأثرت هذه الأساطين بعمودين على جانبى إحـدى الحنايات بسلطان خان بالأناضول[٨٣]. حيث تزخرفهما أشكال حلزونية تـأخذ شـكل التحديـب والتقعير. وقد تميزت أساطين مدرسة السلطان حسن بأنها أكثر دقة وإبداعا وزخرفتها أخـذت شكل الأقصاب البارزة مع تزيين تيجانها بكتابات كوفية مورقة. وفى ذلك يقول حســن عبـد الوهاب: " وحليت نواصيها (أى مدرسة السلطان حسن) بعمد من الحجر ظريفة بها كتابـات كوفية[٨٤] "

٧٩- ثروت عكاشة: المرجع السابق. ص ص ٢٨٦-٢٨٧. لوحة (٢٨٢) ،
Rice (D.t): Islamic art. London. 1977. p169. pl167.

٨٠- المقريزى: المصدر السابق. نفس الجزء.ص ٣١٦. ، حسن عبد الوهاب: المرجع السابق.ص ١٦٨. وجود مئذنتين على جانبى كتلة المدخل عرفته العمارة السلجوقية فى قونية منـذ النصـف الثانى من القرن (٧هـ/١٣م) حيث كانت ثمة مئذنتان تكتنفان بوابة مدخل مسجد قونية فضلا عـن مدارس عدة بالأناضول، وهذا مستوحى من العمارة الإيرانية التى ظلت المآذن المزدوجة فيها علـى جانبى المدخل تنفذ فيها خلال عصر الإيلخانين والتيموريين والصفويـين فـوق أبـواب المداخـل وإيوانات الحرم (إيوان القبلة).
ثروت عكاشة: المرجع السابق. ص ١٢١.

٨١- لم تكن مدرسة السلطان حسن أول نموذج يبنى بنواصية أبراج فى مصر ، فقد سبقها فى ذلك مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٦٥-٦٦٧هـ/١٢٦٦-١٢٦٩م) حيث دعمت زوايـاه الأربـع الخارجية بأربعة أبراج. اثنان منهما مربعان بالزاويتين الجنوبية والشرقية ، واثنـان مسـتطيلان بالزاويتين الشمالية والغربية.

٨٢- الأسطون قرين العمود ، غير أن بدنه مقسم إلى عدة أجزاء أسطوانية تركب فـوق بعضـها البعض ، وقد تأثر بمدرسة السلطان حسن فى ذلك مسجد الرفاعى الذى يقع فى مواجهته.

٨٣- ثروت عكاشة: المرجع السابق. ص٢٧. لوحة (٢٥).

٨٤- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق. ص١٧٠.

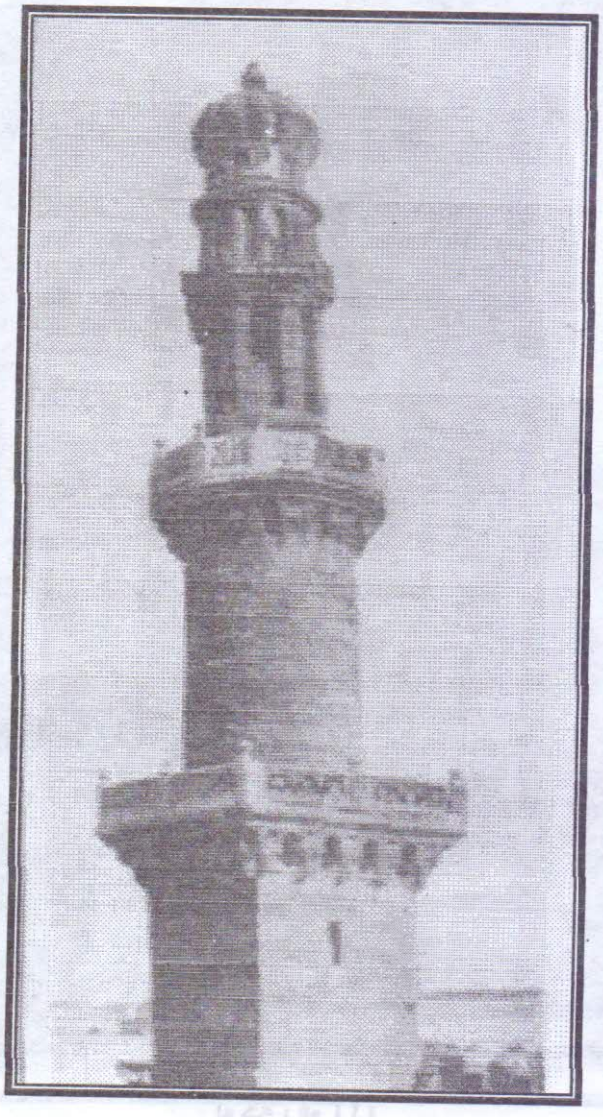

لوحة رقم (١)
مئذنة الناصر محمد بن قلاوون (عن مساجد مصر)

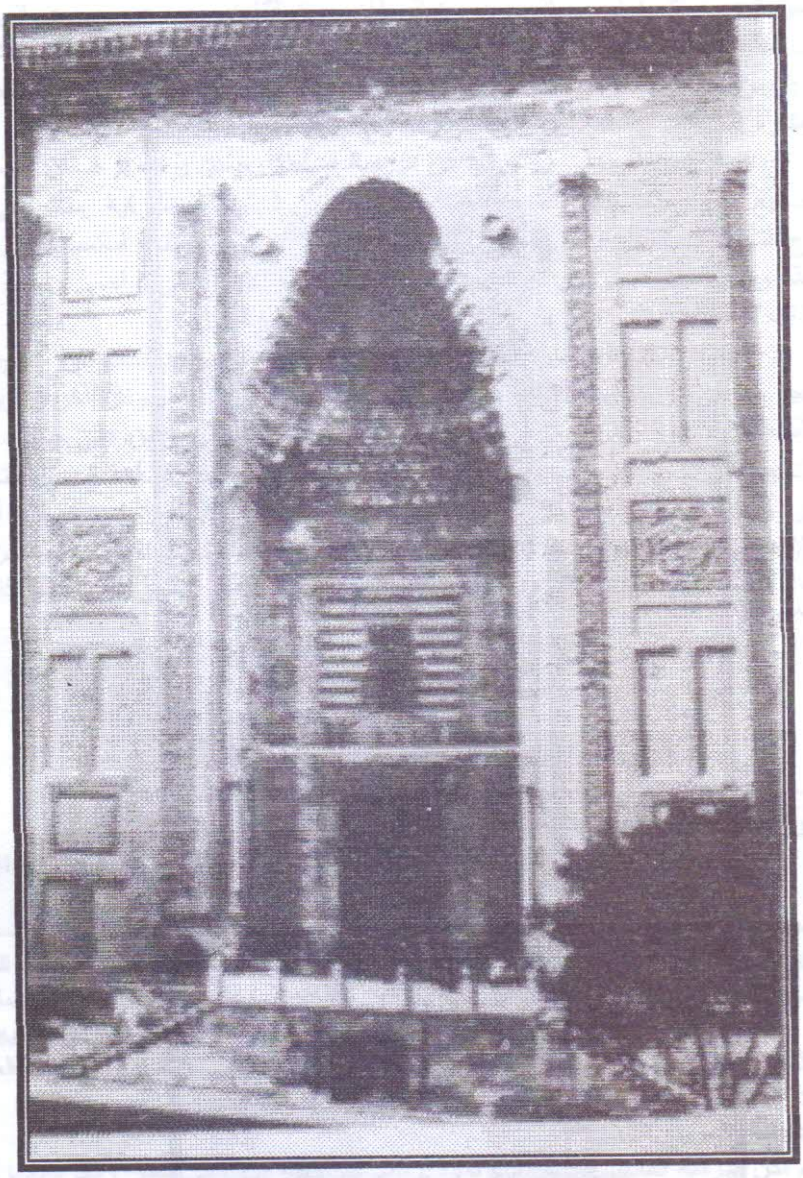

لوحة رقم (٢)
كتلة مدخل مدرسة السلطان حسن (عن ثروت عكاشة)

لوحة رقم (٣)
قبة ضريح نور الدين محمود زنكي بدمشق (عن الريحاوي)

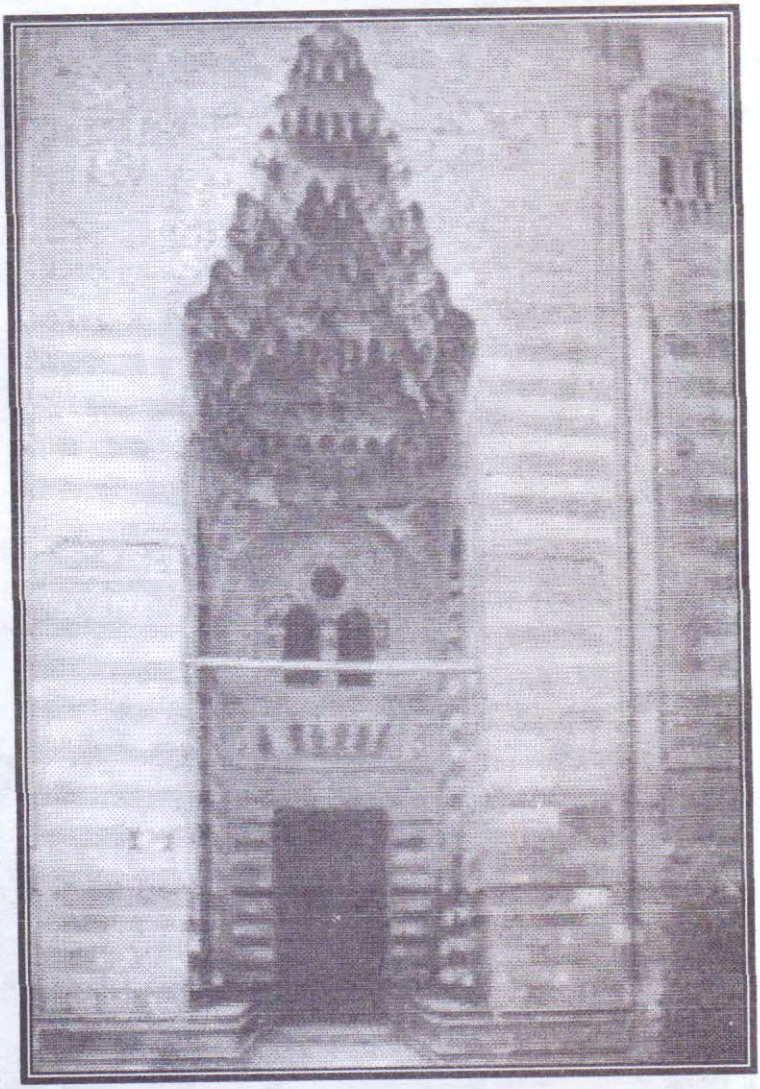

لوحة رقم (٤)
مدخل مدرسة أم السلطان شعبان (عن مساجد مصر)

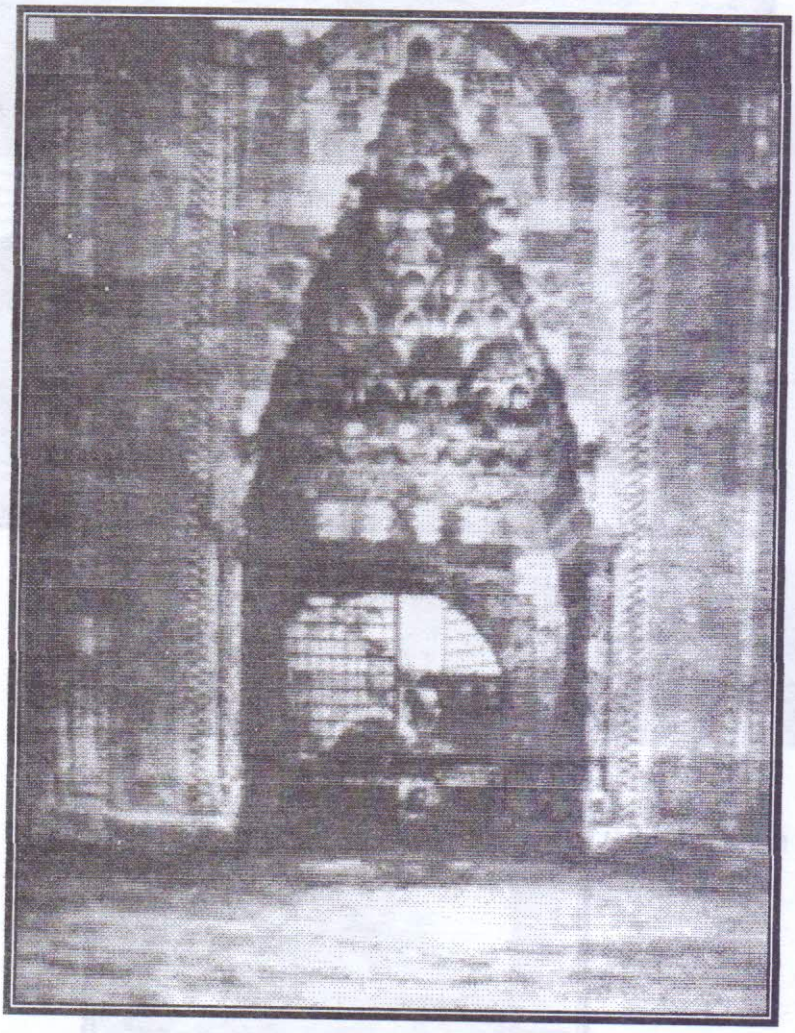

لوحة رقم (٥)
مدخل سلطان خان آق سراي بالأناضول (عن ثروت عكاشة)

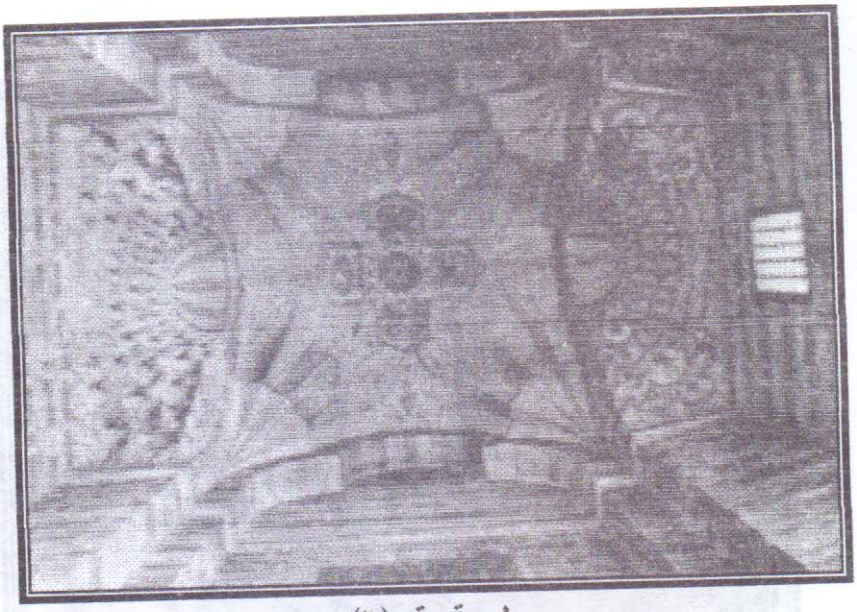

لوحة رقم (٦)
القبو المروحي المركب الذي يغطي دركاة المدخل بجامع المؤيد شيخ (عن مساجد مصر)

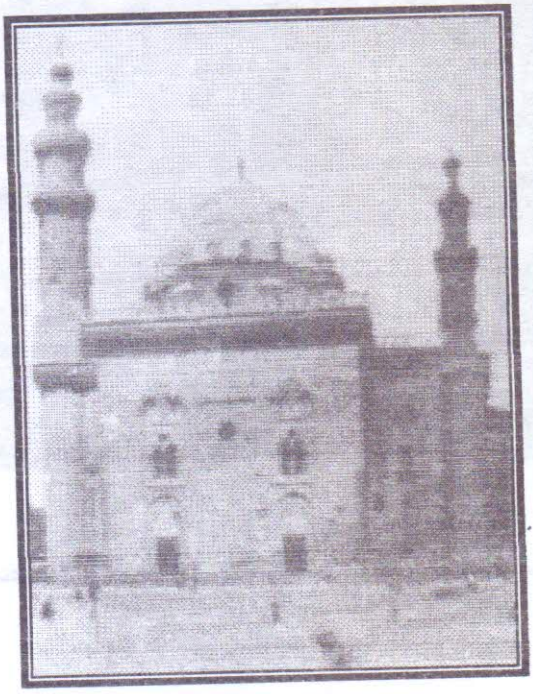

لوحة رقم (٧)
الجهة الجنوبية الشرقية لمدرسة السلطان حسن (عن ثروت عكاشة)

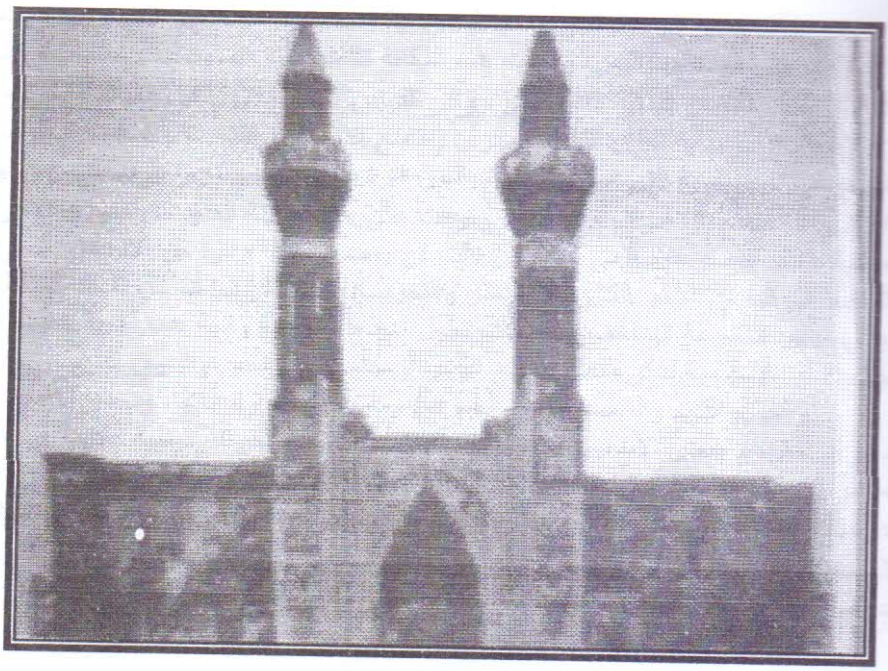

لوحة رقم (٨)
واجهة مدخل مدرسة جوك بالأناضول (عن ثروت عكاشة)